آيات وأحاديث الاستغفار والدعاء:

دراسة تحليلية تربوية

Verses and hadiths of forgiveness and prayer: an analytical educational study

د٠ أسماء خليفة الشبول (*)

د٠ هيفاء فياض الفوارس (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب، والصلاة والسلام على خير من استغفر ودعا وأناب، وعلى آله وصحبه وأولياءه الذاكرين لله كثيرا، ومُسَبِّحيه بكرة وأصيلا، والمستغفرين له بالأسحار.

يعد ذكر الله سبحانه وتعالى من أفضل الأعمال الصالحة وأيسرها التي تقرب العبد من ربه، وتزيل الهم والغم عن قلبه، وتورث محبة الله عز وجل له، وتنقي روحه مما علق بها من وساس الشياطين.

وقد أمر الله تعالى عباده بالذكر في كثير من آيات القرآن الكريم، وأثنى على الذاكرين وأعد لهم مغفرة وأجرا عظيما في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٣٥]، كما أخبر أن الاقتداء الصحيح بالرسول صلى الله عليه وسلم هو عمل من اتصف بصفتين عظيمتين هما: رجاء رحمة الله ونعيم اليوم الآخر، وذَكَر الله كثيرا خوفا

(*) أستاذ مشارك– قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة – جامعة اليرموك.

(*) أستاذ مشارك– قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة – جامعة اليرموك.

ورجاء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: آية ٢١].

ويعد ذكر الله عبادة عظيمة يستطيع العبد القيام بها في أي مكان وبأي وقت، ولا تتطلب منه بذل الجهد، ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل لذكره صورا عدة ، منها على سبيل المثال لا الحصر: التهليل والتحميد والتسبيح والحوقلة والصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وسلم والاستغفار والدعاء وغيرها كثير.

أما الاستغفار فتظهر خصوصيته في أنّ من طبيعة الإنسان البشرية أن تقع منه الأخطاء، وتكون لديه الذنوب، بفعل محظور أو ترك مأمور، ولكن من رحمة الله تعالى بعباده أن أمرهم بالاستغفار كخطوة أولى في إعلان التوبة إليه عز وجل. فيستغفر العبد نادماً على ما فعل، عازماً على عدم العودة إلى الذنب والمعصية، راجياً عفو الله وغفرانه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: آية١١٠]. كما يعد كثرة الاستغفار أحد أهم أسباب إجابة الله تعالى للدعاء؛ لأن ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي تمنع إجابة الدعاء، فضلا عن أن الحمد والثناء والاستغفار وسائر الذكر يسبق دعاء الله تعالى من باب التأدب في دعائه سبحانه، وهنا ندرك علاقة الاستغفار بالدعاء.

ولمّا كان الدعاء من أرفع العبادات وأخلصها لله عزّ وجل، وسببًا في غسل النفوس من أدرانها، وإزالة ما ران على القلوب من غشاوة، وتحقيق السعادة للعبد بدفع مكروه عنه أو حصول مطلوب له ، حث الله تبارك وتعالى عباده على الدعاء وأمرهم به في غير موضع من القرآن الكريم، فقال جلّ علاه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: آية ٦٠]، ورغّب المؤمن المستقيم والمذنب العاصي والقريب الداني والبعيد القاصي في اللجوء إليه سبحانه وتعالى، بالتضرع

والابتهال والتذلل برفع الأيدي لطلب الحاجات والأماني، كما دعا النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم أمته إلى اللجوء لله سبحانه وتعالى في كل أمورهم في الرخاء وفي الشدة، وفي كل الأوقات، والاجتهاد في الدعاء في أحاديث كثيرة حفلت بها كتب السنة النبوية الشريفة. وبذلك ندرك الحكمة من قوله عليه السلام: (الدعاء هو العبادة) (١).

وعليه يهدف هذا البحث إلى الوقوف على نصوص مختارة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في الاستغفار والدعاء، محللاً وشارحاً لها، ومستنبطاً ما فيها من أهداف ومضامين تربوية تصلح نفس الإنسان وتزكيها؛ لبلوغ درجات الارتقاء والكمال الإنساني.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتبلور مشكلة البحث في الإجابة عن السؤالين الآتيين:

١. ما أبرز الدلالات التحليلية والتربوية لآيات الاستغفار وأحاديثه ؟

٢. ما أبرز الدلالات التحليلية والتربوية لآيات الدعاء وأحاديثه؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي في جانبين:

– الجانب النظري العلمي: إن آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة لا تزال في دائرة البحث والدراسة من قبل الباحثين، وعليه يشكّل هذا البحث حلقة في سلسلة الكتابة في هذا الموضوع لإثراء المكتبة الشرعية والتربوية بمزيد من الدراسات العلمية والبحوث المتخصصة فيه.

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء،رقم الحديث (١٤٧٩)، ج٢، ص ٦٠٣.

– الجانب العملي: تظهر أهمية الموضوع العملية في تحديد الجهات التي يؤمل أن تستفيد من نتائج البحث، ومن أبرزها:

* مؤلفو المناهج الدراسية في تضمين المضامين التربوية للاستغفار والدعاء في كتب التربية الإسلامية لتنشئة الأجيال على الصلة بالله تعالى.
* الأسرة في تربية أبنائها التربية الإيمانية السوية التي ترقى في صلتهم بالله عز وجل.
* طلبة التخصص الشرعي بزيادة تعمقهم في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
* خطباء المساجد بضرورة تخصيص خطبة تتناول الحديث عن موضوع البحث.
* الباحثين في إجراء دراسات أخرى حول آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة.

منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهجين الآتيين:

– المنهج التحليلي: من خلال التحليل والتفسير للنصوص المختارة من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة المتعلقة بالاستغفار والدعاء وبيان مضمونها من خلال الاستعانة بتفاسير القرآن الكريم وشروح الأحاديث النبوية الشريفة.

– المنهج الاستنباطي: حيث حاولنا أن نستنتج في ضوء تحليل وتفسير النصوص المختارة من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة المتعلقة بالاستغفار والدعاء المضامين التربوية التي تُصلح نفس الإنسان وتزكيها؛ لبلوغ درجات الارتقاء والكمال الإنساني.

خطة البحث:

المبحث الأول: نصوص مختارة من آيات وأحاديث الاستغفار

المحور الأول: تحليل آيات الاستغفار

المحور الثاني: المضامين التربوية لآيات الاستغفار وأحاديثه.

المبحث الثاني: نصوص مختارة من آيات الدعاء وأحاديثه:

المحور الأول: تحليل آيات الدعاء وأحاديثه.

المحور الثاني: المضامين التربوية لآيات الدعاء وأحاديثه.

المبحث الأول

نصوص مختارة من آيات الاستغفار وأحاديثه

إن الإنسان بحكم طبيعته البشرية يميل إلى جلب اللذائذ وإرضاء الغرائز، وقد تدفعه نفسه إلى إرضاء غرائزه والاستجابة لميوله بالمقدار الذي يتصادم مع المقررات الشرعية والعقلية والعرفية. قال ابن القيم رحمه الله: "إن الحكمة الإلهية اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الإنسان، وهاتان القوتان فيه بمنزلة صفاته الذاتية، لا ينفك عنها، وبهما وقعت المحنة والابتلاء، وعرض لنيل الدرجات العلى، والهبوط إلى أسفل سافلين. فهاتان القوتان لا يدعان العبد حتى ينيلانه منازل الأبرار، أو يضعانه تحت أقدام الأشرار... والمقصود أن تركيب الإنسان على هذا الوجه هو غاية الحكمة، ولا بد أن يقتضي كل واحد من القوتين أثره، فلا بد من وقوع الذنب والمخالفات والمعاصي، ولا بد من ترتب آثار هاتين القوتين عليهما، ولو لم يخلقا في الإنسان لم يكن إنسانا، بل كان ملكا؛ فالترتُّبُ - يعني الذنب- من موجبات الإنسانية"(١).

وقد رغب الله تبارك وتعالى عباده الاستغفار والإنابة إليه في غير موضع من القرآن الكريم، كما حثّ المعصوم عليه أفضل الصلاة والتسليم أمته على الاستغفار من الذنوب، وطلب العفو من الله في أحاديث كثيرة حفلت بها كتب السنة النبوية الشريفة.

وعليه يأتي هذا المبحث للوقوف على بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالاستغفار محللاً وشارحاً لها، ومستنبطاً ما فيها من مضامين تربوية تُصلح نفس الإنسان وتزكيها؛ لبلوغ درجات الارتقاء والكمال الإنساني.

---

(١) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ج١، ص ٢٩٧.

المحور الأول: تحليل آيات الاستغفار وأحاديثه:

يتضمن هذا المحور تحليل بعض نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالاستغفار وتفسيرها، والنصوص المتعلقة بالاستغفار كثيرة، نذكر هنا بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

النص الأول- قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [سورة نوح: آية ١٠-١٢].

وقد اختارت الباحثتان هذا النص ليكون الافتتاح به لما فيه من معانٍ لا بدّ من ترسيخها قبل التفصيل التربوي للاستغفار، وأهم ما تتضمنه ثمار وفوائد الاستغفار العظيمة وأثرها الكبير على حياة المسلم.

ففي هذه الآية يدعو سيدنا نوح عليه السلام قومَه الذين يعدون "صورة من صور البشرية العنيدة، الضالة، الذاهبة وراء القيادات المضللة، المستكبرة عن الحق، المعرضة عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان، المعروضة أمامها في الأنفس والآفاق، المرقومة في كتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس المكنون"[١]، يدعوهم إلى العبادة والتقوى والطاعة ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [سورة نوح: آية ٣]؛ باعتبار أن "عبادة الله وحده منهج كامل للحياة... وتقوى الله هي الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج... وطاعة الرسول هي الوسيلة للاستقامة على الطريق. فهذه الخطوط العريضة التي دعا نوح إليها قومه في فجر البشرية هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده"[٢].

(١) سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٣٢، بيروت، دار الشروق، ٢٠٠٣م، المجلد ٦، ص ٣٧٠٦.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد ٦، ص ٣٧١١.

وفي ظل عناد قومِه وتكبّرهم وإصرارهم على الكفر والضلال، وعدم يأس سيدنا نوح في مواصلة دعوة قومه لتوحيد الله، رغبّهم باستغفار الله رغم أنهم لا يؤمنون بالله إلهاً مستحقاً وحده العبودية، فكانوا يشركون به ويعبدون أوثاناً لا تجلب لهم نفعاً ولا تدفع عنهم ضراً؛ باعتبار أن "الاستغفار إقرار بالتقصير وارتكاب الذنوب، وساعة تطلب المغفرة من الله تعالى فهذا إعلانٌ منك بالإيمان، وبأن تكليفه سبحانه تكليف حق"[(١)]، وطمّعهم بالنّعم المعنوية والمادية للاستغفار، فقد صورتها الآية الكريمة بأجمل التعابير: غفار الذنوب، إرسال السماء مدرارًا، الإمداد بأموالٍ وبنين، جناتٍ وارفة، أنهارٍ جارية.

وأكّد سيدنا نوح لقومه أنهم عندما يقفون بباب الله تعالى مستغفرين لذنوبهم، فإن الله الغفور الرحيم لن يردهم خائبين؛ فهو سبحانه غفار يتجاوز عن السيئات مهما تعددت، يقبل التائبين مهما أسرفوا، ويعفو عنهم برحمته الواسعة.

كما وعد سيدنا نوح قومَه بانفتاح أبواب النّعم من السماء والأرض وتواترها عليهم باستغفارهم الله: "إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، كَثَّر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع ، وأدّر لكم الضرع ، وأمدّكم بأموال وبنين، وجعل لكم جّنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها "[(٢)].

ما إن يتوب العباد ويستغفروا الله تعالى حتى تفيض عليهم الخيرات، ويُغدق الله عليهم جزيل نعمه، ولا يحرمهم عطاءه، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ "وإرسال السماء يعني تواصل نزول المطر، والفارق بين (الإنزال) وبين (الإرسال) أن

(١) محمد متولي الشعراوي. تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم)، مصر، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م، المجلد ٢٦، ص ١٦٤٣٢.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، ط٢، السعودية، دار طيبة، ١٩٩٩م، ج٨، ص ٢٣٣.

الإنزال يكون مرة واحدة، أما الإرسال فهو مسترسل ومتواصل؛ ولذلك يقول الحق سبحانه في المطر: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ [سورة الفرقان: آية:٤٨]؛ لأن المطر لا ينزل طوال الوقت من السماء، ولكن في الإرسال استمرار... فالذي يحتاج إلى استمرارية في الفعل يقول فيه (أرسل)... ومدرارا هو الذي يُدر بتتابع لا ضرر فيه، فالمطر قد يهطل بطغيان ضار، فالمدرار هو المطر الذي يتوالى توالياً مُصلحاً لا مُفسدا، ومتى أُرسل المطر مدراراً متتابعاً مصلحا، فالأرض تخضرّ وتعمُر الدنيا ونزداد قوة إلى قوتنا" [١].

ولعلّنا نحملها على معنًى آخر، بأن يرسل الله على المستغفرين فتوحاتٍ سماويّة، فكثرة الاستغفار تورث علاقةً فريدة مع كتاب الله. ووحي السماء إلى الأرض خالد متجدد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فكم من مستغفرٍ فتح الله عليه وبه وله من فتوحات العلم بالوحي ما حُرِمَه قليلو الاستغفار. وأيضًا فتوحات تأييد سماوي للمستغفرين بالنصر والتمكين. وجمال الآية بإطلاقها، فكل ما تتصوره من مدد السماء وما لا تتصوره يدخل في ثمرات الاستغفار؛ إذ الجمع أولى من الترجيح في مقام الإطلاق.

ويُستحب قراءة سورة نوح في صلاة الاستسقاء؛ لأجل هذه الآية، "وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي، فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار، ومنها هذه الآية: ﴿فقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [٢].

وتدل الآية كذلك على أن "الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الأرزاق، فقد أعلم نوح عليه السلام قومه أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ

---

(١) الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد ٢٦، ص ١٦٤٣٣.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص٢٣٢.

الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾"(١).

وعندما نتأمل النظم القرآني في هذه الآية ندرك جمالاً يعجز عن الإتيان بمثله أحد من البشر، "أربعة أشياء تأتي بعد الاستغفار والتوبة ونزول ماء السماء تعتبر مصدر قوة للبشر: الأموال، البنون، الجنات، الأنهار. والإمداد نعمة من نعم الله سبحانه، فنِعم الله هي: نِعم الإيجاد، ونِعم الإمداد، ونِعم التكليف، فإن أحببت الله للإيجاد والإمداد، فهذا يقتضي أن تحبه أيضا للتكليف، وهو سبحانه القادر على الإيجاد وعلى الإمداد، فالحق سبحانه أوجدكم في هذه الدنيا وأعطاكم أموالاً وبنين يُكثّرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها. وجعل لكم البساتين ذات الأشجار الملتفة الكثيفة، وقدّم ذكر الجنّات عن الأنهار، مع أن الأنهار سبب في حصول الجنات؛ أراد الله أن يجعل ماء المطر سبباً في وجود البساتين المغدقة مما قد لا يكون للإنسان دخلٌ فيه، وجعله أيضاً سبباً في وجود الأنهار مما يستعمله الإنسان في شرابه وسقي زرعه وري حيواناته"(٢).

وقد ربط القرآن الكريم بين الاستغفار وتلك الأرزاق في مواضع متفرقة "بيّن فيها صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبيّن تيسير الأرزاق وعموم الرخاء، وهذه القاعدة الصحيحة التي قررها القرآن تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنّة الحياة، كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون، وما من أُمّة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله، وما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل

---

(١) الشوكاني، الإمام محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٨٨٣. بتصرف

(٢) الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد ٢٦، ص ١٦٤٣٥. بتصرف

والأمن للناس جميعاً، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكّن الله لها في الأرض واستخلفها بالعمران وبالصلاح سواء"(١).

إن كل ما ذُكر آنفا هو غيض من فيض ثمار الاستغفار، "فالاستغفار باب من أبواب القوة والثروة، والغنى للإنسان ماديًا ومعنويًا"(٢)، وله أثر بالغ في رفع المصائب، دفع البلاء، الأمن من الفتن والمحن، طمأنينة القلب والمتاع الحسن، تكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات، النصر والتمكين من عند الله جلّ علاه، "قال ابن صبيح : شكا رجل إلى الحسن البصري الجُدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا؛ فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله . فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئا؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿فقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ...﴾"(٣).

النص الثاني- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُم) (٤).

جاءت السنة النبوية مؤكدة لما ورد في القرآن الكريم، ومطبقة تطبيقاً عمليًّا له، فهي تعمل على ترجمته ترجمة حيّة إلى واقع ملموس في حياة الفرد المسلم،

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد ٦، ص ٣٧١٣. بتصرف

(٢) ابن الدَّيبع الشيباني، مكفرات الذنوب وموجبات الجّنة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٥م، ص١٥.

(٣) الشامي، صالح أحمد، مواعظ الإمام الحسن البصري، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤م، ص١٦٩.

(٤) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ط١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم الحديث ٦٨٥٩، ص ١٣٤٧.

ففي هذا الحديث الشريف يؤكد عليه الصلاة والسلام أن الإنسان بحكم طبيعته البشرية لا بد له من ارتكاب الذنوب والمعاصي، حتى تتجلى آثار مغفرة الله ورحمته بعباده وهو التّواب العفو الغفور الرحيم؛ فلو لم يكن هناك تجاوز وعصيان فلماذا يسمي الله تعالى نفسه التّواب العفو الغفور الرحيم؟

"فالله سبحانه خلق هذا الخلق بما فيه من خير وشرٍّ لحِكَم هو أعلم بها، فخلق الذنوب فيه حكمة، كما أن خلق الحسنات فيه حكمة. ولا ينبغي أن يجترئ به الإنسان على الذنوب، لأن الله سبحانه حرّمها صراحة، ولكن لا يقنط من رحمة الله تعالى إذا فرّط منه شيء منها، لأن الاستغفار كفّارة له. وفيه تسلية للمذنبين النادمين بأن استغفارهم وتوبتهم تمحو السيئات"[(١)].

ومقصود هذا الحديث "الحث على التوبة والالتزام بها، والمداومة عليها، والتنبيه على أن ارتكاب الذنب من طبيعة بني آدم ومما جبلوا عليه، فليس ذلك بغريب عنهم، ولكن الجريمة أن يتمادى العبد في العصيان ولا يتوب، وأن الله تعالى أراد أن يخلق خلقا يذنبون ويتوبون، فخلق بني آدم، ولولا أنه خلقهم بهذه الصفة لخلق خلقاً آخر بها، فليس للعبد أن ييأس بعد ارتكاب الذنب، ولكن عليه أن يتوب ويرجو"[(٢)].

أما التطبيق العملي لما ورد في القرآن الكريم، فقد تجّسد في شخصية المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذا يقودنا إلى النص الثالث من السنة النبوية التي توضح كيف كان عليه الصلاة والسلام يستغفر ويتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وهو المعصوم والمغفور له:

---

(١) العثماني، محمد تقي، تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، مراجعة وتدقيق: محمود شاكر، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٦م، ج٦، ص٩.

(٢) المباركفوري، صفي الرحمن، منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، ط١، الرياض، دار السلام، ١٩٩٩م، ج٤، ص٢٦٦.

النص الثالث: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))[١].

فقد كان النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم دائم الاستغفار، ويفعل ذلك كل يوم؛ "إظهاراً للعبودية، وافتقاراً لكرم الربوبية، أو تعليماً منه لأمته، أو من ترك الأولى، أو قاله تواضعاً، أو أنه صلى الله عليه وسلم لما كان دائم الترقي في معارج القرب كان كلما ارتقى درجة ورأى ما قبلها دونها استغفر منها"[٢].

ولا يُفهم من هذا الحديث كما يظن البعض أنه لو فعل ما فعل من الذنوب والآثام ثم تلفظ بـ (أستغفر الله) سبعين أو مائة مرة غُفرت له ذنوبه وزال أثرها عنه ... فليست التوبة هكذا، فضلًا عن الاستشهاد كذلك بما ورد في هذا المعنى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)) [٣].

تظهر دلالة الحديث في أنه "لو تكرر الذنب مائة مرة، أو ألف مرة، أو أكثر، وتاب في كل مرة، قُبلت توبته، وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة

---

(١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، رقم الحديث (٦٣٠٧)، ص ١٥٩٤.

(٢) القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط١٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٧م، ج١٣، ص٣٠٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة ، رقم الحديث (٢٧٥٨)، ص ١٣٥١.

بعد جميعها صحت توبته"[1]. وقوله: (اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ) أي ما دمت على حالك هذا من الاستغفار حينما تذنب، فالنظر في هذا إلى استغفاره بعد الذنب لا إلى معاودة الذنب[2]. "وقال ابن بطال في هذا الحديث: أن المُصرّ على المعصية في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له مغلباً الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له رباً خالقاً يعذبه ويغفر له، واستغفاره إياه على ذلك" [3].

كما يدل الحديث على "عظم فائدة الاستغفار، وكثرة فضل الله، وسعة رحمته وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي يثبت معناه في القلب مقارنا للسان لتتحل به عقدة الإصرار ويحصل مع الندم، وفي هذا يقول السبكي: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول فيه نفع لأنه خير من السكوت، ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني نافع جداً، والثالث أبلغ"[4].

ما الاستغفار المطلوب؟

سؤال يطرحه الكثيرون، ويجيب عنه كبار العلماء، قال القرطبي رحمه الله: "قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يَحُلُّ عَقْدَ الإصرار، ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه : أستغفر الله، وقلبه مصر على معصيته، فاستغفاره يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر"[5].

---

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، مؤسسة قرطبة، ١٩٩٤م، ج٩، ص٨٨.

(٢) المباركفوري: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، ج٤، ص٢٧١.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، الرياض، دار السلام، ١٩٩٧م، ص ٥٨٤.

(٤) القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١٥، ص٤٧٠.

(٥) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م، ص٣٢٤.

وسُئل ابن تيميه رحمه الله: "هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ؟ أو أنه إذا استغفر ينوي بالقلب ألا يعود إلى الذنب؟ فأجاب: الحمد لله. بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له... وإذا تاب توبة صحيحة غفرت ذنوبه"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "وليس هذا مرتباً على مجرد القول باللسان، نَعم من قالها بلسانه غافلاً عن معناها، معرضاً عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجياً مع ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض"(٢).

إذن حتى يكون استغفارنا تاماً ومقبولاً، وحتى تكون توبتنا توبةً نصوحة، لا بد من تحقق شروط عدة، أبرزها:

- الإقلاع عن الذنب والتوقف عنه حالاً: أن يُقلع عن الذنب الذي هو فيه، إن كان الذنب ترك واجب فعليه فعله وتأديته، وإن كان الذنب ارتكاب محظور فعليه تركه فوراً والابتعاد عنه، وإن كان اعتداء على حقوق الناس فعليه رد الحقوق لأصحابها وطلب العفو والمسامحة منهم.

- الإخلاص لله تعالى: استغفار الله عن صدق وخلوص نيّة مبتغيا وجه الله بعيداً عن مراءاة الناس، فيستغفر المذنبُ الله بلسانه وبحضور كامل لقلبه، قال

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م، المجلد١١، ص ٦٩٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٧، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٤٠.

الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "ولا تصح التوبة الشرعية إلا بالإخلاص، ومن ترك ذنبا لغير الله لا يكون تائبا اتفاقا"(١).

- الندم على فعل الذنب: إن ندم التائب دليل على صدق توجهه إلى الله تعالى، والندم هنا "أن يتحسَّر على ما سبق منه، ولا يرى أنه في حل منه حتى يتوب منه إلى الله"(٢).

- العزم على عدم العودة: يعزم المذنب على ألا يعود إلى ارتكاب الذنب أبداً، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "لو ندم ولم يقلع وعزم على العود لم يكن تائبا اتفاقا"(٣).

- إرجاع الحقوق لأصحابها: إذا كان فيما ارتكبه العبد من متعلقات حقوق الآخرين، فتوبته برد المظالم لأهلها.

- الإقبال على ممارسة الأعمال الصالحة: فقد أخبر الله سبحانه أنه يغفر ويعفو ويقبل توبة من تاب وعمل صالحا، بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه: آية٨٢].

وقد لخص الإمام النووي رحمه الله هذه الشروط بقوله: "اعلم أن كل من ارتكب معصية لزمه المبادرة إلى التوبة منها، والتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاثة أشياء: أن يقلع عن المعصية في الحال، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم

---

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٢٤.

(٢) العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الرياض، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ، ج١، ص٨٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٢٤.

ألا يعود إليها. والتوبة من حقوق الآدميين يشترط فيها هذه الثلاثة، ورابعٌ: هو ردُّ الظُّلامة إلى صاحبها أو طلب عفوه عنها والإبراء منها"(١).

المحور الثاني- المضامين التربوية لآيات الاستغفار وأحاديثه:

تنطوي آيات الاستغفار وأحاديثه على عددٍ من المضامين التربوية التى نقف على أبرزها:

- الالتزام بمنهج الله تعالى طريق النجاة:

مقدار التزام الأمة بمنهج الله وعبادته وتطبيق شرعه، وتحقيقها العدل والأمن بين الناس، يمكّن الله تعالى لها في الأرض، ويفيض عليها بالخيرات، ويستخلفها بالصلاح والعمران. ففي دعوة سيدنا نوح لقومه وعدهم بانفتاح أبواب النّعم من السماء والأرض وتواترها عليهم باستغفارهم الله: "إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، كَثَّر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع ، وأدّر لكم الضرع ، وأمدّكم بأموال وبنين، وجعل لكم جّنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها"(٢).

- الاجتهاد في ممارسة الأعمال الصالحة:

فاستغفار المذنب الله تعالى لا يكون باللسان فقط، وإنما هو شامل لاستغفار اللسان والقلب والجوارح، أستغفار اللسان بالابتهال إلى الله ومناجاته والإكثار من قول "استغفر الله"، واستغفار القلب بإخلاص التوبة لله والندم على ارتكاب الذنوب مع العزيمة الصادقة على ترك الذنب. أما استغفار الجوارح فيكون بالاجتهاد في ممارسة الأعمال الصالحة؛ فهي تكفِّر الذنوب وتمحوها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [سورة هود: آية١١٤]، قال ابن كثير: "إن

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، الأذكار، ط١، دار ابن حزم، ٢٠٠٤م، ص٥٥٠.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٢٣٣.

فعل الخيرات يكفّر الذنوب السالفة"(١)، وبذلك يتحقق قبول توبة التائب، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه: آية٨٢].

– **مجاهدة النفس والمثابرة:**

الاستغفار تدريب للنفس على التغلب على الغرائز والشهوات، وتقوية للإرادة، كما أنه تدريب على حسن استشعار مراقبة الله في السر والعلن، فالفتن كثيرة، وطرق المعاصي مهيَأة، فإذا ما حدثته نفسه بالمعصية فاستغفرَ الله تعالى تعزز بداخله مخافة الله، ومنعه من ارتكاب المزيد من الذنوب والخطايا.

– **التربية على الأمل وعدم القنوط من رحمة الله تعالى:**

هَبْ أن كل إنسان أسرف في ارتكاب الذنوب، وتجاوز الحد في المعاصي سيما الكبائر منها، وشعر بانسداد الأبواب في وجهه، وظنَّ أن لا أمل في غفران الله له، عندها ماذا سيحدث؟ سيتوغّل في ارتكاب المعاصي، حتى يستنفد كلّ طاقاته في التمتع بمتع الدنيا كما تهوى نفسه، ما دامت نفسه تُحدِّثه بأنه محروم من نعيم الآخرة، وعندها سيعم الفساد الأرض. لكنّ رحمة الله تعالى أوسع، فهو العفو الغفور، يفتح أبواب رحمته أمام المذنبين العصاة، ويعطيهم الأمل في تطهير أنفسهم وتزكيتها من جديد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: آية٥٣].

ولنا في قصة سيدنا نوح مع قومه أروع الأمثلة على الأمل وعدم اليأس، ففي ظل عناد قوم سيدنا نوح وتكبّرهم وإصرارهم على الكفر والضلال، لم ييأس سيدنا نوح في مواصلة دعوتهم لتوحيد الله تعالى، ولم يفقد الأمل في هدايتهم لعبادة

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٦٢.

الواحد الأحد، بل استمر في دعوتهم، ونوّع في أساليب دعوتهم، وأخذ يطمعّهم باستغفار الله عز وجل.

- التربية على الاعتراف بالذنب:

ذكرنا سابقاً أن الإنسان بحكم طبيعته البشرية تقع منه الأخطاء ويرتكب الذنوب. لكن المهم هو التراجع عن الذنب، وأولى خطوات التراجع هو الاعتراف بالذنب؛ فالاعتراف بالذنب دليلٌ على شعوره بالندم، ودافعٌ للمذنب على التراجع عما ارتكبه واستغفاره الله عز وجل.

سيدنا نوح عليه السلام رغبّ قومه بالاستغفار؛ باعتبار أن الاستغفار إقرارٌ واعتراف منهم بالتقصير وارتكاب الذنوب. ومصداق ذلك ما ورد في الحديث: (قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي)، فطَلَبُ العبد المغفرة دليل على اعترافه بذنبه، يقول ابن القيم: "فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني: غِيٌّ ينافي قصده وإرادته؛ فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً"(١).

**

(١) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ج١، ص٨٦.

المبحث الثاني

نصوص مختارة من آيات الدعاء وأحاديثه

الدعاء شأن الذين آمنوا بالله، يلجؤون به إلى خالقهم رغبةً وتضرعا، في السّراء والضراء، وهو ملاذ كل مكروب، وأمل كل خائف، وراحة كل مضطرب، فإذا نزلت بالمرء جائحة، أو حفّت به ضائقه، أو مسّه مكروه، أو أصابه شر أو ضر، فزع إلى ربه عزّ وجل وتضرّع إلى خالقه؛ ليكشف الغُمة، ويُزيل الضائقة، ويدفع المكروه.

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: "والغالب على الخلق أنه لا تتصرف قلوبهم إلى ذكر الله عزّ وجل إلا عند إلمام حاجة، وإرهاق ملمّة، فإن الإنسان إذا مسّه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عزّ وجل بالتضرع والاستكانة، فيحصل به الذّكر الذي هو أشرف العبادات"(١).

ومما يدل على مكانة الدعاء ومنزلته العظيمة في الإسلام أنه جعل "الدعاء في مصاف أعظم الطاعات، وأجلّ ألوان العبادات، مَثَلُ الدعاء في ذلك مَثَلُ إقامة الصلوات، فما الصلاة في حقيقتها إلا دعوات وابتهالات وتوسلات وتضرعات، فالصلاة دعاء والدعاء صلاة"(٢).

وعليه يأتي هذا المبحث بعد حديثنا عن الاستغفار الذي يعد سبباً في قبول الدعاء واستجابة الرجاء، للوقوف على بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في الدعاء محللاً وشارحاً لها، ومستنبطاً ما فيها من مضامين تربوية تعلم

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الفجالة، مكتبة مصر، ١٩٩٨م، كتاب الأذكار والدعوات، ج١، ص ٤٢٨.

(٢) الجندي، مصطفى عبد الحليم، الدعاء عقيدة وشريعة، مجلة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، العدد (٨)، شعبان ١٩٧٣م، ص٧٨.

الإنسان التضرع لله الواحد الأحد، وصدق التوجه إليه سبحانه، وطلب الحاجة منه بتذلل وانكسار.

المحور الأول: تحليل آيات الدعاء وأحاديثه:

يتضمن هذا المحور تحليل بعض نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالدعاء وتفسيرها، والنصوص المتعلقة بالدعاء كثيرة، نذكر هنا بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

النص الأول- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: آية ٦٠].

وقد اختارت الباحثتان هذا النص ليكون الافتتاح به لما فيه من معانٍ لا بدّ من ترسيخها قبل التفصيل التربوي في الدعاء وأهم هذه المعاني أنّ الدعاء عبادة من العبادات الواجبة على كل مسلم ومسلمة.

فهذه الآية هي آية فرض الدعاء، وفيها إشارة إلى "دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلّا إلى الله؛ لأنّ الدعاء هو عين العبادة"(١)، وفي هذا جاء قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: ((الدُّعاءُ هوَ العبادةُ) (٢) ثمَّ قالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: آية ٦٠].

وفي الآية دلالة على "عظيم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الانقطاع إليه"(٣)، وعلى وعد الله تعالى مَن دعاه بالإجابة "فقد علّق في هذه الآية الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب"(٤).

---

(١) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط٥، مكة المكرمة، السعوديّة، دار المختصر، ١٤٤٠هـ، ص٤٧٤.

(٢) ابو داود: سنن أبي داود، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، رقم الحديث (١٤٧٩)، ج٢، ص ٦٠٣.

(٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المرتضى، ٢٠٠٦م، ج٨، ص ٣٤١.

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج٨، ص١٣٩.

إنّ هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنّه ندب عباده إلى دعائه وتكفّل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: "يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب"(١).

وخلاصة الآية أنّ الله تعالى أمر بالدعاء وتكفّل بالإجابة، لكنّه تعالى جعل للدعاء أدبًا لا بدّ أن يراعى حتى تحصل الإجابة. ويمكننا أن نقف على بعض آداب الدعاء من هذه الآية:

١. إخلاص القلب لله؛ فهذه الآية الكريمة أكّدت أنّ الدعاء عبادة والعبادة المقبولة لها شرطان أحدهما الإخلاص لله وحده في العبادة، وقصد العبادة لله وحده، فلا يجوز صرف الدعاء لغير الله.
٢. الثقة بالاستجابة؛ فالله تعالى قال وقوله حق، وإذا وعد حاشاه أن يُخلِفَ الوعد.
٣. دعاء الله تعالى مع تمام الخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى؛ فإنّ المستكبرين عن التوجه لله سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.
٤. أقرب الطرق إلى رحمة الله هي الإحسان في الدعاء والعبادة، ومرتبة الإحسان كما وصفها سيد البشر لسيد الملائكة عليهما السلام: (أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ) (٢). فأنت أيها المسلم بين أمرين: إما أن تدعو الله كأنّك تراه، وهذه أرفع وأعلى وهي درجة المشاهدة. وإمّا أن تدعوه مؤمنًا بأنه يراك، وتعلم أنه يراك ويسمعك؛ فأنت تدعو في مرأى ومسمع من الله وتعالى، فتجتهد في الدعاء على خير وجه؛ موقنًا بأنّ الله تعالى يسمعك ويراك وسيجبيك؛ يعني: تستحضر أن الله تعالى يشاهدك ويعلم مكانك وحالك

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٨٥.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، رقم الحديث (٩)، ص ٣٢.

وسؤالك، قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٨-٢١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦].

وإنّ منزلة القرب هذه تقودنا إلى نص ثانٍ من نصوص الوحي في باب الدعاء:

النص الثاني- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٦]

يذكر الله جلّ علاه في هذه الآية أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فهو سبحانه وتعالى العالمُ بأحوال عباده، السامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم، "كأنه سبحانه وتعالى يقول عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك"(١)، مما يؤكد مدى قرب الله من الداعي قربا خاصاً محاطاً بالمعونة والسداد.

والوقفات مع هذه الآية لا تُحصى ولا تعد، لكن من الملفت الذي يدعو للتدبر والتأمل سياقها الذي جاءت به، فهي:

- من وجه: جاءت متوسطة آيات رمضان وفرض الصيام وأحكامه وما ينبغي للصائم من الدعاء وطلب الحوائجِ؛ ففيها "إيماء إلى أنّ الصائم مرجو الإجابة، وإلى أنّ شهر رمضان مرجوّة دعواته، وإلى مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من رمضان"(٢).

---

(١) الرازي، الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٩٨١م، ج٥، ص ١٠١.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج١، ص١٧٩.

– ومن وجه آخر أمر الله تعالى عباده بالتكبير الذي هو الذكر والشكر، ثم بيّن سبحانه أنه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع نداءه، ويجيب دعاءه، ولا يخيب رجاءه. وقد أمره بالتكبير أولًا ثم رغّبه في الدعاء ثانيًا ، تنبيهًا على أنّ الدعاء لا بدّ أن يكون مسبوقًا بالثناء الجميل.

– ومن وجه ثالث، لمّا أمر الله تعالى بالصيام وإكمال العدة والتكبير والشكر وذلك كله من حقه سبحانه وتعالى، علم سبحانه بما قد يكون في نفوسهم من التطلع لمعرفة حقهم من الجزاء والأجر على تلك العبادات، فجعل جزاءهم الدعاء، كناية عن عظيم جزائه، بأنّ لهم ما يطلبون، والمعنى: لتكملوا العدة ولتكبروا الله.. ولعلّكم تشكرون، وجزاؤكم أنّ لكم ما سألتموني فإنّي قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، تحفيزًا على الاستجابة والامتثال؛ ولهذا قال مباشرة: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

– ومن وجه رابع، يرغّب الله عباده بالدعاء وفي الوقت ذاته يتكفّل بالإجابة، وبتأمل الآية الكريمة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ نجد العديد من الإشارات الدالة على تكفّل الله إجابة الدعاء بنفسه، ومنها: "تكرار ضمير المتكلم الدّال عليه في سبعة مواضع بالآية (عبادي، عنّي، فإني، أجيب، دعانِ، لي، بي)، وكذلك استعمال الفعل المضارع الدّال على التجدد والحدوث للإشارة إلى تجدد الاستجابة وحدوثها، كما أن مجيء الترغيب بالدعاء والحث عليه بهذه الصورة مقترنا بالاستجابة فيه "إيناسٌ للداعي وتأييدٌ لاطمئنانه

في استجابة دعائه، ولا يخفى ما في ذلك من تشريف وتكريم"[١]، فهذه الآية هي "آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة، والود المؤنس، والرضى المطمئن، والثقة واليقين.. ويعيش منها المؤمن في جناب رضي، وقربى ندية، وملاذ أمين وقرار مكين"[٢].

– وأخيرا، جاءت الإجابة في الآية دون ذكر فعل الأمر: **(قل!)** كما هو الشأن في قاعدة السؤال والجواب في القرآن، على نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ **قُلْ** هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..﴾ وقال في السورة نفسها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ **قُلْ** فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ **قُلِ** الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. ومعنى قوله تعالى في ذلك كله: **(قل!)** أمرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يجيب أولئك السائلين. وهذا في كتاب الله كثير. إلّا أنّه ههنا قال في الجواب: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ دون ذكر عبارة **(قل!)** للدلالة على القرب من جهة، ولبيان أنّ العبد من جهة ثانية لا يحتاج إلى واسطة بشر– مهما كان صلاحه– في أمر الدعاء والاستغفار والتوجه إلى الله؛ لأنّ هذا السياق سياق تعبّد خال؛ حيث سأل عباد الله عن ربهم، لا عن حكم شرعي، بل عن أمر مخصوص هو العلم بالله!

---

(١) زوين، محمد محمود عبّود. الدعاء في القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص ٥٩.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد ١، ص ١٧٣.

وهذا لا ينوب فيه أحد عن أحد. بينما سياق الآيات الأخرى ومثيلاتها هو سياق تعليم للأحكام الشرعيّة؛ فاحتاج إلى حضور الرسول المعلّم في كل جزئية" (١).

هذا بالنسبة لسياق الآية، أمّا من جانب آخر، فقد أشارت الآية الكريمة كذلك إلى أسباب قبول الدعاء ﴿... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فضمان قبول الدعاء هو الإيمان بالله وطاعة أوامره. وقد لخص الإمام السعدي أسباب قبول الدعاء فى قوله: "الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة"(٢).

إذن استجابة العباد لله والإيمان به يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح " فالثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هي لهم كذلك.. وهي الرشد والهدى والصلاح. فالله غني عن العالمين. والرشد الذي ينشئه الإيمان وتنشئه الاستجابة لله هو الرشد. فالمنهج الإلهي الذي اختاره الله للبشر هو المنهج الوحيد الراشد القاصد؛ وما عداه جاهلية وسفه لا يرضاه راشد، ولا ينتهي إلى رشاد. واستجابة

---

(١) الأنصاري، فريد، مجالس القرآن، ط٢، القاهرة، مصر، دار السّلام، ١٤٣٧هـ، ج٣، ص٣٢٥.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء الثاني، ص ٨٤.

الله للعباد مرجوة حين يستجيبون له وهم يرشدون. وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه. فهو يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم"(١).

"وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: شرائطه أربع: أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام"(٢).

وعليه فإن هذه الآية الكريمة تلخص لنا العلاقة بين العبد وربه، وتخبر بجمال الرحمة الإلهية والقرب الإلهي وشرف النسبة إليه جلّ في علاه وأدب الدعاء، وهذا غيضٌ من فيض نصوص الوحي القرآني في الحديث عن الدعاء والحثّ عليه والترغيب فيه، نختمها بنص من نصوص وحي السنّة المطهرة في هذا الباب:

النص الثالث- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ) (٣).

جاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة على فضل الدعاء، منوهة على علوّ منزلته، مبينة عناية الشارع الكريم به، دالة على أنه أعظم العبادات، وأجلّ الطاعات، وروح العبادات ولبّها وأفضلها، ومشيرة إلى مَعلَمٍ من معالم الدعاء هو: آداب الدعاء وشروطه، مؤكدة الوحي القرآن مفصّلة المجمل مبيّنةً المشكل؛

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد ١، ص ١٧٣.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢٩١.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له، رقم الحديث (٦٣٣٨)، ص ١٦٠٠.

فالأحاديث النبوية تعلم الإنسان كيفية الإقبال على الله تعالى، وكيفية دعائه، وههنا نورد بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر.

ففي الحديث الشريف يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعزم ونجزم في دعاء الله وسؤاله، يعلّمنا الثقة بالله تعالى، وحسن الظن به سبحانه وتعالى، فندعو الله مستيقنين إجابته تعالى لدعائنا. يقول الإمام القسطلاني: "أي فليقطع بالسؤال، ولا يشك في القبول بل يستيقن وقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله وإن كان مأمورًا في جميع ما يريد فعله بمشيئة الله (فإنه لا مستكره له) بكسر الراء فينبغي الاجتهاد في الدعاء وأن يكون الداعي على رجاء الإجابة، ولا يقنط من -رحمه الله تعالى- فإنه يدعو كريمًا ويلح فيه ولا يستثني بل يدعو دعاء البائس الفقير"(١).

وعلق الحافظ ابن حجر العسقلاني قائلاً: "المراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء، فيخفف الأمر عليه، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك، فليس للتعليق فائدة، وقيل: المعنى أن فيه صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، والأول أولى"(٢).

وإقبال الإنسان على الله داعيا إياه بثقة وعزم يعكس مدى شعوره بالعجز والضعف، وفي الوقت ذاته يدرك عظمة قدرة الله في إجابة دعواه "فالداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب، وأنه عاجز عن تحصيله، وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء، ويعلم الحاجة، وهو قادر

(١) القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج١٣، ص٣٤٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٤٥.

على إيصالها إليه، ولا شك أن معرفة العبد نفسه بالعجز، والنقص، ومعرفة ربه بالقدرة، والكمال من أعظم العبادات"[١].

ومن شروط قبول الدعاء كذلك الإخلاص في دعاء الله تعالى، قال جلّ علاه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة غافر: آية ١٤]، "والإخلاص في الدعاء هو تصفية الدعاء، والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله تعالى وحده، لا شريك له، ولا رياء، ولا سمعة، ولا طلباً للعرض الزائل، ولا تصنعاً، وإنما يرجو العبد ثواب الله، ويخشى عقابه، ويطمع في ثوابه"[٢].

وحثّ النبي صلى الله عليه وسلم على اغتنام الأحوال التي يُقبل فيها الدعاء، ومن أهمها وقت السجود؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) [٣].

ومن اللطائف الجمالية في الحديث الشريف أن الله ربط بين السجود والدعاء، ودلالة ذلك أن "الصَّلاة من أَجلِّ وأعظمِ العباداتِ التي يتقرَّبُ فيها العبدُ إلى اللهِ تعالى، وكلَّما ازدادَ تَواضُعُ العبدِ وخشوعُه زادَ قُربًا مِن الله، ووضْعُ الوجهِ والأنف في الأرض قمَّةُ التَّواضُع والتَّذلُّل، وهنا يكون الدُّعاء من قلبٍ خاشع، ومُتواضِع لله فيكون أقربَ لاستجابةِ الدُّعاء، وفيه الحثُّ على الإكثارِ من الدُّعاء في السُّجودِ"[٤].

---

(١) الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠م، ج٥، ص ٥٠٦.

(٢) القحطاني، سعيد بن علي، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، توزيع مؤسسة الجريسي، ٢٠٠٦م، ص ٢١.

(٣) مسلم،: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث ٩٧٠، ص ٢٣٢.

(٤) موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية:
.https://www.dorar.net/hadith/sharh/٢٣٥٨٤

المحور الثاني: المضامين التربوية لآيات الدعاء وأحاديثه:

وبعد الوقوف مع نصوص الوحي وقفات تحليلية تدبريّة نحاول هنا تلخيص أبرز المضامين التربويّة في آيات الدعاء وأحاديثه:

– تعليم العبد آداب دعاء الله عزّ وجل وشروطه.

إنّ من جزيل لطف الله ورحمته بعباده أن ذكر لهم في كتابه العزيز صيغا عدة للدعاء، يعلمهم فيها بماذا يدعوه وكيف يدعوه بتذلل وخشوع وإخلاص منادياً جلّ علاه بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥] ولنا في دعاء سيدنا أيوب عليه السلام لربه أنموذجا في غاية التأدب مع الله، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، يتضرع سيدنا أيوب بالدعاء إلى الله لكنّه عليه السلام "لم يصرح بالدعاء، بل وصف نفسه بالعجز والضعف، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان منه جلّ علاه حسن التلطف باستجابة دعائه وتضرعه وكشف ما أصابه من ضر وبلاء"(١). وفي سمت دعاء الأنبياء والصّالحين في القرآن جزيل تضرّع وقرب وثقة بالله عزّ وجل، فمن أراد إجابة دعائه عليه أن يلزم سمت دعاء الأنبياء والصّالحين.

– تربية العبد على الصلة الدائمة بالله عز وجل

لجوء العبد إلى الله بالدعاء في كل أحواله، في السراء والضراء، في الرخاء والشدة، والتضرع إليه بصدق وإخلاص يزيد من إيمان المسلم، ويقوي عقيدته، ويوثّق صلته بالله سبحانه؛ لذلك يحرص العبد على الدعاء بأن يُثبت الله الإيمان

(١) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م، مج ٢، سورة الأنبياء.

في قلبه، فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) [١].

- تربية العبد على اليقين وحسن الظن بالله عز وجل

إن العبد المؤمن يدعو الله وهو محسن الظن بربِّه المجيب الغفور، وموقن بإن دعاءه لا يضيع، منتظر الإجابة من لَدُنه القريب، ولهذا تراه مستمرًا في الدعاء لحوحًا في المسالة، بلا يأس ولا قنوط من رحمته سبحانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)) [٢]. يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله : "في هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أنه يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة ؛ لما في ذلك من الانقياد، والاستسلام، وإظهار الافتقار، حتى قال بعض السلف: لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة"[٣]، وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله: "يبين إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثرا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس، لعلمه أن الحق أعلم بالمصالح... فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقا في الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرة عمله... فينبغي للمؤمن ألا يضجر من كثرة الدعاء، ولا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض"[٤].

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف شاء، رقم الحديث (٦٦٤٥)، ص ١٣٠٧.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم الحديث (٦٣٤٠)، ص ١٦٠٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٦٩.

(٤) ابن الجوزي، الإمام أبو الفرج. صيد الخواطر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ص٤٣٣.

- تربية العبد على الأخذ بالأسباب والتوكل على الله

التوكل على الله دليل صحة إيمان العبد وصلاح قلبه، وهو اعتراف العبد الكامل بربوبية الله، وتسليمه كل أموره للخالق الواحد، المتصرف بجميع أموره، والمدبر الوحيد لأحواله، صغيرها وكبيرها(١).

والدعاء دليلٌ على التوكل على الله، فَسرُّ التوكل على الله وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده. وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء؛ ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه. ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها(٢).

- تربية العبد على سمو النفس وعلو الهمة

بالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى؛ ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من مِنَّتِهم، فالمنة تصدع قناة العزة، وتنال نيلها من الهمة. وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مهيب الجناب، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأُسُّ النجاح(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته

---

(١) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، ج٢، ص٤٩٨.

(٢) السبيعي: لماذا نتكئ على الواسطة ونتجاهل الدعاء؟!، مقال على الإنترنت، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/rasael/٤١٧.htm .

(٣) السبيعي: لماذا نتكئ على الواسطة ونتجاهل الدعاء؟!، المرجع السابق.

ودفع ضرورته - قويت عبوديته له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له - فيأسه سنة يوجب غنى قلبه عنه"(١).

وبالدعاء تعلو الهمة كذلك من خلال اجتهاد الداعي بتحصيل أسباب قبول الله لدعائه، فالله عز وجل قد وعد عبده بإجابة دعواه إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالإيمان به، والانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية. وما دام ضمان قبول الدعاء هو الإيمان بالله وطاعة أوامره، فهذا كاف ليقوِّي إرادتنا، ويعلي همَّتنا.

**

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ط٧، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م، ص٨٦.

الاستنتاجات والتوصيات:

في ضوء ما سبق خلص البحث إلى الاستنتاجات والتوصيات الآتية:

١. وجود العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث الإنسان على الإنابة لله واللجوء إليه سبحانه؛ رغبةً وتضرعا، في السّراء والضراء.

٢. احتواء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالاستغفار والدعاء على أهم المضامين التربوية التي تُصلح نفس الإنسان وتزكيها؛ لبلوغ درجات الارتقاء والكمال الإنساني.

٣. إن توظيف المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاستغفار والدعاء وأحاديثهما في محيط الأبناء والمتعلمين قولا وعملا، يؤدي إلى التنشئة الإيمانية السليمة لهم.

وعليه توصي الباحثتان المؤسسات التربوية والتعليمية بضرورة توظيف المضامين التربوية للاستغفار في تنشئة الأجيال على الصلة بالله تعالى.

**

قائمة المصادر والمراجع

١- الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠م.

٢- الأنصاري، فريد، مجالس القرآن، ط٢، القاهرة، مصر، دار السّلام، ١٤٣٧هـ.

٣- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ط٧، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م.

٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤م.

٦- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط٥، مكة المكرمة، السعوديّة، دار المختصر، ١٤٤٠هـ.

٧- الجندي، مصطفى عبد الحليم، الدعاء عقيدة وشريعة، مجلة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، العدد (٨)، شعبان ١٩٧٣م.

٨- ابن الجوزي، الإمام أبو الفرج، صيد الخواطر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٩- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، الرياض، دار السلام، ١٩٩٧م.

١٠- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

١١- ابن الدَّيبع الشيباني، مكفرات الذنوب وموجبات الجّنة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٥م.

١٢- الرازي، الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٩٨١م.

١٣- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

١٤- زوين، محمد محمود عبّود، الدعاء في القرآن الكريم، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

١٥- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٣٢، بيروت، دار الشروق، ٢٠٠٣م.

١٦- الشامي، صالح أحمد، مواعظ الإمام الحسن البصري، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٤م.

١٧- الشوكاني، الإمام محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

١٨- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.

١٩- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المرتضى، ٢٠٠٦م.

٢٠- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢١- العثماني، محمد تقي، تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، مراجعة وتدقيق: محمود شاكر، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٦م.

٢٢- العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الرياض، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.

٢٣- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الفجالة، مكتبة مصر، ١٩٩٨م.

٢٤- القحطاني، سعيد بن علي، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، توزيع مؤسسة الجريسي، ٢٠٠٦م.

٢٥- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م.

٢٦- القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط١٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٧م.

٢٧- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٧، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م.

٢٨- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

٢٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط٢، السعودية، دار طيبة، ١٩٩٩م.

٣٠- المباركفوري، صفي الرحمن، منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، ط١، الرياض، دار السلام، ١٩٩٩م.

٣١- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم)، مصر، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م.

٣٢- مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، ط١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

٣٣- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، الأذكار، ط١، دار ابن حزم، ٢٠٠٤م.

٣٤- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، مؤسسة قرطبة، ١٩٩٤م.

٣٥- السبيعي: لماذا نتكئ على الواسطة ونتجاهل الدعاء؟!، مقال على الإنترنت، موقع صيد الفوائد:

http://www.saaid.net/rasael/٤١٧.htm

٣٦- موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية:

.https://www.dorar.net/hadith/sharh/٢٣٥٨٤

* * *